أنجم السياسة

وقصائد أخرى

تائية أبي إسحاق الإلبيري

في العلم والزهد

الأستاذ عبد الله كنون

هذه القصيدة من أروع ما قالته العرب في شعر الوصايا والحكم ، وقل أن تشابهها قصيدة في هذا الباب ؛ من حيث متانة البناء وعمق النظرة وقوة التأثير ، إلا قصيدة أبي الفتح البستي : (زيادة المرء في دنياه نقصان) ، ولكن نونية أبي الفتح هذه شهيرة ومتداولة ، وتجري أبياتها على الألسنة ، وقد تضمنتها الدواوين الأدبية ، فقلما يخلو كتاب المنتخبات الشعرية منها . أما تائية صاحبنا الإلبيري فهي مهجورة منسية ، لا تكاد تُعرف ، أو يلتفت إليها أحد من الباحثين وأصحاب المجموعات الأدبية والشعرية .

وهي تمتاز بالنفَس الطويل ، والنظرة المستقصية ، والتناول المستوعب ، فتقلّب المعنى على جميع وجوهه وتتعمق فيه وتستبطنُه ، ولا تترك شيئاً يخطر على البال مما يتعلق به ، ألا ألمعت إليه واستعرضته في وضوح تام وبيان لامزيد عليه ، حتى إن أغراضها انحصرت في مدح العلم وتفضيله على المال ، والتزهيد في الدنيا ليس غير ، وهي مع ذلك تنيف على عشرة ومئة بيت ، والمُدْهِش من أمرها هو هذه السلاسة التي جعلتها في بلاغتها وحسن سبكها كأنها قطعة نثرية ، ونموذج إنشائي لأحد الكتاب البلغاء ، لا قصيدة شعرية مرتبطة بوزن وقافية ، وما ذلك إلا لقوة عارضة صاحبها ، ومقدرته البيانية ، ونظمه بالسليقة لا بالتكلف .

ويرجع عهدي بهذه القصيدة إلى أيام الطلب ، حين كان الوالد ـ رحمه الله ـ يورد بعض الأبيات منها في مجلسه ، ولا سيما البيت الذي يقول في آخره حاضاً على العمل بالعلم : (عَلِمْتَ فهل عَمِلْتَا ؟) وهذا البيت الفذ المؤثر :

إذا ألقاك فهمك في مَهاوٍ فليتَك ثُمَّ ليتك ما فهمتا

ثم بعد ذلك اطَّلعتُ عليها أو على ما أورده الوالد منها في شرحه لنصيحة الهلالي ، وهو القسم المتعلق منها بالعلم وطلبه وآدابه والعمل به ، وهو قسم طويل يكوِّن وحده قصيدة كاملة ، فلم أزل ألهج بأبياته وأجعلها نصب عيني في الدراسة والسلوك ، إلى أن وقفت على ثلاث نسخ أخرى منها ؛ سأتحدث عنها فيما بعد .

وقد كنت ألممتُ بها في كتابي أدب الفقهاء ، في فصل الأخلاق والآداب منه ، كما ألممت بقصيدة الواعظ الأندلسي في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ذلك الكتاب ، ووعدت برجوعي إليها في موضوع آخر وهو هذا ، إذ لا يشفي نفسي إلا إذاعةُ هذه القصائد ونشرُها كاملة ، وعدمُ الاكتفاء منها بالشواهد والأمثلة كما اقتضاه بحث أدب الفقهاء .

أبو إسحاق الإلبيري

ترجم لأبي إسحاق القاضي عياض في « المدارك » ترجمة قصيرة قال عنه فيها : إنه من أصحاب أبي عبد الله بن أبي زَمَنين رحمه الله ، وروى عنه كتبه ، وكان فقيهاً معظماً في وقته ، ولم يذكر له تاريخاً . كما ترجم له الضبي في بغية الملتمس بما لا يزيد على سطر فقال : إنه فقيه فاضل ، زاهد عارف ، كثير الشعر في ذمّ الدنيا مجتهد في ذلك .

والترجمة الوافية التي وقفنا عليها له ، هي ترجمة ابن الأبّار في كتابه التكملة في القسم الأول المفقود من طبعة قديرة ، المنشور في الجزائر بعناية ألفريدبل وابن أبي شنب ونصها :

« إبراهيم بن مسعود بن[1] سعيد التُّجيبي ، الزاهد من أهل غرناطة ، يعرف بالإلبيري ويكنى أبا إسحاق . روى عن أبي عبد الله بن أبي زَمَنين وغيره . وكان من أهل العلم والعمل ، شاعراً مُجوّداً ، وشعره مدوّن ، وكلّه في الحكم والمواعظ والأزهاد. ومسلكه سلك أبو محمد بن العسّال الطليطلي ، وكانا فرسَيْ رِهانٍ في ذلك الزمان صلاحاً وعبادة . وقد حدّث أبو إسحاق ، وروى عنه ابن أخته ، وأبو محمد عبد الواحد بن عيسى ، وأبو حفص عمر بن خلف الهمدانيان الإلبيريان وغيرهم » .

ثم ذكر بسنده أبياتاً من شعر المترجم وقال : توفي في نحو الستين والأربعمائة » .

وذكره ابن سعيد المغربي في كتابه المُغرب ، وجعله من أهل حصن العُقاب ، ولذلك لم ينسبه إلى إلْبيرة كما أنه لم يذكره بنسبه التُّجيبي وإنما قال فيه :

« أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود . من المسهب : هو من حصن العقاب وكان قد اشتهر في غرناطة اسمه وشاع علمه ، واتسم[2] بالصلاح ، وكان ينكر على ملكها كونه استوزر ابن نَغْرِلّة اليهودي ، وعلى أهل غرناطة انقيادهم له ، فسعى في نفيه الى إلبيرة فقال شعره المشهور :

ألا قل لصنهاجةٍ أجمعينْ ... بُدور الزمان وأُسْد العرينْ
لقد زلّ سيدُكم زلّةً ... أقرّ بها أعيُنَ الشامتين
تخيّر كاتبَه كافراً ... ولو شاء كان من المسلمين
فعزّ اليهودُ به وانتخَوْا ... وكانوا من العشيرة الأرذلين

فاشتهر هذا الشعر ، وثارت صنهاجةُ على اليهودي فقتلوه ، وعظُم قدرُ أبي إسحاق » ...

(١) في الأصل : سعد . (٢) بالأصل وارتسم ، ونظن أن الصواب ما أثبتناه.

وبعد ذكر مقطوعتين شعريتين له ، إحداهما في محل سكناه،حصن العقاب قال : « وله ديوان ملآن من أشعار زهدية ، ولأهل الاندلس غرام بحفظها » .

وهذا الديوان الذي أشار له كلٌ من ابن الأبّار وابن سعيد المغربي قد نشره المستعرب الاسباني الشهير اميليوغرسية كوميز لأول مرة عن مخطوطة مكتبة الإسكوريال التي تحمل رقم ٤٠٤ مع مقدمة ضافية بالاسبانية ، وتعاليق ، وكلمة تحليلية لكل قصيدة أومُقَطّعة من أشعاره ، وفهرس عربي وآخر أسباني مفصل. وذلك في مئة وست وثمانين صفحة .

وممن ذكر أبا إسحاق صاحبُ الروض المعطار ، فقال في تعريفه بمدينة إلبيرة : « ومنها أبو إسحاق بن مسعود الإلبيري صاحب القصيدة الزهدية التي أولها :

تفتُّ فؤادَكَ الأيامُ فتّاً وتنحِتُ جسمك الساعاتُ نحتا

ثم ذكر أبياتاً أخرى من شعره ولكنه لم يذكر له تاريخاً.

وذكره أيضاً أبو الحجاج البلوي في كتابه (ألف با) بعد أن أنشد أبياتاً من قصيدته التائية في تفضيل العلم على المال فقال :

« وهذا الشاعر هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري رحمه الله، والقصيد حسن طويل ، كان الأستاذ الفقيه أبو عبد الله بن سَوْرة شيخي رحمه الله، يحمل طلبته على حفظه لجودته » .

وذكره كذلك المقري في نفح الطيب في أماكن مختلفة ، منشدا له أشعاراً زهدية وغيرها ، كلها مما يوجد في ديوانه .

القصيدة ونسخها

تتألف هذه القصيدة من مئة وثلاثة عشر بيتاً. وعند ناشر ديوان أبي إسحاق، الأستاذ غرسية كوميس أنها مئة واثنا عشر بيتاً فقط ، برغم البيت الذي يكمل ثلاثة عشر والذي قال إنه يوجد بهامش الصفحة (١١) من مخطوطة الديوان ،

ليتخذ موقعه بين البيتين ٢٩ و ٣٠ . وهذا البيت هو :

فراجِعْها ودَعْ عنك الهُوَيْنا فما بالبُطْء تُدرِك ما أردْتا

وهذا البيت يوجد في جميع النسخ التي بأيدينا ، حيث ذكر الأستاذ ، وإنما استبعده من القصيدة لأن صاحبها يقول في البيت الاخير منها :

وقد أردفتها ستاً حساناً وكانت قبلَ ذا مئة وستا

فالجميع إذن (١١٢) بيتاً لا غير ، لكن الذي عندنا في النسخة الكاملة التي نصفها فيما بعد هو ما يلي :

وقد أردفتها سبعاً حساناً وكانت قبلَ ذا مئة وستا

فهي على ذلك (١١٣) .

ونسخ القصيدة التي بيدنا الآن أربع :

١) نسخة شرح الوالد على نصيحة الهلالي[1] ، وهي تقتصر على ٤٢ بيتاً ، وتبتدىء من قوله : (أبا بكر) أي أنها إنما تحوي القسم العلمي منها . وقد قدّمها رحمه الله بقوله : « من قصيدة للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي ضمّنها وصية جامعة ، ونصيحة لامعة لا بنه أو ابن أخيه رحم الله الجميع ، ونصّها ـ وبعدما أوردها قال ـ : « انتهى المراد منها » .

فيلاحظ أولاً أنه سمّى جده سعيداً لا سعداً كما ورد في التكملة ، وأنه نسبه إلى قبيلة تُجيب ولم يعرج على نسبته البلدانية ، ويظهر أن ذلك هو الصواب؛ لأنه في الاصل من حصن العقاب كما سبق عن ابن سعيد ، فنسبته إلى إلبيرة طارئة . ويلاحظ ثانياً أنه عيّن أبا بكر الذي وجهت اليه القصيدة بابن الشاعر أو ابن أخيه، وإذا لم يكن في الترجمة التي نقلناها عن ابن الآبار تصحيف؛ فربما كان أبو بكر هذا ابن أخت الشاعر الذي هو أحد الرواة عنه . على أنّ

(١) طبع هذا الشرح مؤخراً في مصر باسم النسق الغالي والنفس العالي شرح نصيحة أبي العباس الهلالي للشيخ عبد الصمد كنون في ٦٤٠ صفحة .

تصحيف ابن أخيه بابن أخته ممكن ومحتمل جداً . وفي النسخة التي تأتي بعد هذه تعينه بابنه على سبيل الجزم والقطع ، ويبعد في نظرنا أنْ يكون ابنَه ، وهو الذي يأتي في القصيدة أنه يوجّه اليه ذلك العتاب المرّ ، وإن كان على سبيل الفرض والتقدير ، وليس من المعهود أن يخاطب الولدُ والدَه بذلك النقد اللاذع ، أما إن كان ابن أخيه أو أخته فقد يمكن أن يتجرأ عليه بذلك ، وإن قالوا : العَم أحدُ الأبوَيْن .

وعلى كل حال فقد توقف ناشر الديوان في تعيين أبي بكر من هو ، لأن القصيدة في الديوان لم تصدر بشيء في هذا الصدد .

٢) نسخة أطلعني عليها الأخ الاستاذ الحاج أحمد بن شقرون عميد كلية أصول الشريعة بالنيابة ، وقد نقلها حسبما ذكر لي من أوراق تالفة ، وهي تبتدىء كذلك من قوله (أبا بكر) وتحتوي على (٦٣) بيتاً ، فتزيد بواحد وعشرين بيتاً على التي قبلها ، وتنقص بخمسين بيتاً عن النصّ الكامل للقصيدة ، وأكثر ذلك من قسم التزهيد وذم المال . وجاء في تقديمها : « قال أبو إسحاق إبراهيم ابن مسعود ينصح ولده أبا بكر ويحثه على العناية بالعلم » فذكر اسمه بدون نسبة أصلا ، كما فعل صاحب المغرب ، وعين المنصوح المدعوّ أبا بكر فجعله ولده من غير تردّد .

٣) نسخة كاملة توجد ضمن مجموع من كتب الخزانة العامة بتطوان رقم (٥٣٦) وهو للعلاّمة أحمد بن عبد الرحمن بن عاشر الحافي السَّلَوي المتوفّى سنة ١١٦٣ يشتمل على تقاييد ورسائل مهمة ، وجلّه بخط يده . فتاريخها إذن يرجع إلى القرن الثاني عشر ، ومع أن ناسخها من أهل العلم كما قلنا ، فإنه قد تقع له بعض الهفوات ، وأعظمها أنه كرر أربعة أبيات منها وردت في وسطها فذكرها مرة أخرى في آخرها ولم ينتبه لذلك . على أنّ إثباتها في وسط القصيدة إنما جاء إلحاقاً بالهامش ، فلعله وقف على نسختين منها ، إحداهما وقعت فيها هذه الأبيات أخيراً وهي التي نقل عنها أول مرة ، والثانية وقعت في الوسط فألحقها

ولكنه لم ينبه على ذلك . وقد اتّبعنا نحن ما في الديوان من إثباتهـا في وسط القصيدة وحذفناها من الآخِر .

وسننبه عليها في التعليق مع اختلاف النسخ في بعض الالفاظ .

٤) نسخة الديوان ، وهي نسخة كاملة أيضاً باستثناء الملاحظة السابقة المتعلقة بالبيت الذي استبعده منها الناشر وقوفاً مع ما جاء في آخر بيت من قوله : «وقد أردفتها ستا حساناً » وهي نسخة صحيحة محققة بما عرف عن الأستاذ كوميز من معرفة دقيقة بالعربية وأدبها ، إلا بعض الالفاظ القليلة سننبه عليها في التعليق ، وغالبها من اختلاف النسخ أو التطبيع .

ونشير الى هذه النسخ : الأولى منهـا بحرف (ل) والثانية بحرف (ش) والثالثة بحرف (ت) والرابعة بحرف (د) .

وهذا هو النصّ الكامل للقصيدة ، وقد فصَلْنا بين أقسامها بنُجوم ، وهذه الاقسام أكثر ما تدور – كما أسلفنا – على مدح العلم والترغيب فيه ، وتفضيله على المال والتزهيد في الدنيا وعتاب النفس :

١) تفُتُّ فؤادَكَ الأيامُ فتّـا ... وتنحَتُ جسمَكَ الساعاتُ نحتـا

٢) وتدعوكَ المنونُ دعاءَ صدقٍ ... ألا يا صاحِ أنتَ أريد أنتـا

٣) أراكَ تُحب عِرْساً ذاتَ غدْرٍ ... أبَتَّ طلاقَها الأكياسُ بتّـا

٤) تنامُ الدهرَ ويْحكَ في غَطيطٍ ... بها حتى إذا متَّ انتبهتـا

٥) فكم ذا أنت مخدوع وحتى ... متى لا ترعَوي عنهـا وحتى.

* * *

٦) أبا بكر دعوتُكَ لو أجبتَـا ... الى ما فيه حظك إن عقلتـا[1]

٧) إلى علم تكون به إماماً ... مُطاعاً إن أمرت وإن نهيتـا

٨) ويجلو[2] ما بعينكَ من غَشاها ... ويهديكَ[2] السبيلَ إذا ضلَلْتـا

٩) وتحمِلُ منه في ناديك تاجاً ... ويكسوكَ الجمالَ إذا اغتربتا[3]

(١) في ت : الى ما فيه رشدك إن قبلتا . (٢) في د : وتجلو وتهديك .

(٣) في د : اغتربتا .





١٠) ينالك نفعُه ما دمت حيا … ويبقى ذُخْرُه لك إن ذهبتا[١]
١١) هو العَضْبُ المُهنّد ليس ينبو … تُصيب به المَقاتِل[٢] إن ضربتا
١٢) وكنزٌ لا تخاف[٣] عليه لِصّاً … خفيفُ الحِمْل يُوجد حيث كنتا
١٣) يزيدُ بكثرة الإنفاق منه … وينقُص إنْ بِه كفّاً شددتا
١٤) فلو قد ذُقت من حلواه طعما … لآثرتَ التعلُّم واجتهدتا
١٥) ولم يشغَلْك عنه هوًى مطاعٌ … ولا دُنيا بزُخرفها فُتِنتا[٤]
١٦) ولا ألهاك عنه أنيقُ روضٍ … ولا خِدْرٌ[٥] بِرَبْرَبِه كلِفْتا
١٧) فقُوتُ الروح أرواحُ المعاني … ولستَ بأن طعمتَ وأن شربتا[٦]
١٨) فواظِبْه وخذ بالجِدّ فيه … فإنْ أعطاكَه اللهُ انتفعْتا[٧]
١٩) وإن أُوتيتَ فيه طويلَ باعٍ … وقال الناس انك قد سبقْتا
٢٠) فلا تأمن سؤالَ الله عنه … بتوبيخٍ : علِمْتَ فهل عمِلْتا ؟
٢١) فرأسُ العلم تقوى الله حقاً … وليس بأن يُقال لقد رأستا
٢٢) وأحسنُ ثوبِك الاحسان[٨] لا أن … ترى ثوبَ الإساءة قد لبستا
٢٣) إذا ما لم يُفِدك العلمُ خيراً … فخيرٌ منه أن لو قد جهلتا
٢٤) وإن ألقاكَ فهمُك في مهاوٍ … فليتَك ثمّ ليتك ما فهِمتا
٢٥) ستجني من ثمار العجْز جهلا … وتصغُر في العيون وإن كبُرتا[٩]
٢٦) وتُفقَد إن جهلت وأنت باقٍ … وتُوجد إن علِمت وقد فُقِدتا
٢٧) وتذكُر قولتي لك بعد حين … وتغبِطها إذا عنها شُغِلتا
٢٨) وسوف تعَضُّ من ندمٍ عليها … وما تغني الندامةُ إن ندمتا

---

(١) هذا البيت ساقط في ش . (٢) هذا ما في ل وفي بقية النسخ : مَقاتل من ضربتا. وقد آثرنا ما ظهر لنا أنه أشعر. (٣) في ت : لا يخاف. لصاً. وهو تصحيف. (٤) في ت : افتتنتا . (٥) في ل و ش : خدن. (٦) في ل: ولا شربتا. وفي ت: أو أن شربتا . (٧) هذا ما في ل. وفي بقية النسخ: أخذتا . (٨) في ش : وعود نفسك الاحسان. وفي د : وضافي ثوبك الاحسان. (٩) في ت و د : إذا كبرتا .

٢٩) إذا أبصرت صحبك في سماء قد ارتفعوا عليك ، وقد سفلتا
٣٠) فراجعها ودع عنك الهوينا فما بالبطء تدرك ما أردتا[١]

* * *

٣١) ولا تحفل بمالك واله عنه فليس المال إلا ما علمتا
٣٢) وليس لجاهل في الناس معنى ولو ملك العراق له تأتى
٣٣) سينطق عنك علمك في ندي ويكتب عنك يوماً إن كتبتا
٣٤) وما يغنيك تشييد المباني إذا بالجهل نفسك قد هدمتا
٣٥) جعلت المال فوق العلم جهلا لعمرك في القضية ما عدلتا
٣٦) وبينهما بنص الوحي بون ستعلمه إذا (طه) قرأتا[٢]
٣٧) لئن رفع الغني لواء مال لأنت لواء علمك قد رفعتا
٣٨) وإن جلس الغني على الحشايا لأنت على الكواكب قد جلستا
٣٩) وإن ركب الجياد مسومات لأنت مناهج التقوى ركبتا
٤٠) ومهما افتض أبكار الغواني فكم بكر من الحكم[٣] افتضضتا
٤١) وليس يضرك الإقتار شيئاً إذا ما أنت ربك قد عرفتا[٤]
٤٢) فماذا عنده[٥] لك من جميل اذا بفناء طاعته أنختا
٤٣) فقابل بالقبول صحيح نصحي فان أعرضت عنه فقد خسرتا
٤٤) وإن راعيته قولاً وفعلا وتاجرت الاله فقد ربحتا[٦]

* * *

٤٥) فليست هذه الدنيا بشيء تسوؤك حقبة وتسر وقتا

(١) هذا هو البيت الذي استبعده ناشر الديوان .
(٢) في سورة طه آيات في فضل العلم والتزهيد في الدنيا كآية (وقل رب زدني علماً) وآية (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم) .
(٣) في ش : من المعنى .
(٤) في ت : قد أطعتا .
(٥) في ش : فكم ذا عنده .
(٦) في ت : به ربحتا .





٤٦) وغايتُها إذا فكّرت فيها — كفَيئِكَ أو كحُلمك ان حلمتا[١]
٤٧) سُجنت بها وأنت لها مُحبٌ — فكيف تحبُّ ما فيه سُجنتا
٤٨) وتُطعمُك الطعامَ وعن قريب — ستَطعَم منك ما منها طَعِمتا
٤٩) وتعرى ان لبست بها[٢] ثيابا — وتُكسى ان ملابسها خلعتا
٥٠) وتشهدُ كلَّ يومٍ دفنَ خلٍ — كأنك لا تُراد بما شهدتا[٣]
٥١) ولم تُخلَق لتعمُرَها ولكن — لتعبُرَها ، فجِدَّ لما خُلقتا
٥٢) وان هُدمت فزدْها أنت هدماً — وشيِّد[٤] أمرَ دينك ما استطعتا
٥٣) ولا تحزن على ما فات فيها — اذا ما أنت في أخراك فُزتا
٥٤) فليس بنافع مانلتَ منهـــا[٥] — من الفاني اذا الباقي حُرمتا
٥٥) ولا تضحَك مع السفهاء لهْواً[٦] — فانك سوف تبكي ان ضحكتا
٥٦) وكيف لك السرور وأنت فانٍ — ولا تدري أتُفْدى أم غَلِقْتا[٧]
٥٧) وَسلْ من ربك التوفيق فيها — وأخلِص في السؤال إذا سألتا
٥٨) ونادِ إذا سَجدت له اعترافاً — بما ناداه ذوالنُّون بنُ مَتّى[٨]
٥٩) ولازمْ بابَه قرْعـــاً عساه — سيفتح بابه لك إن قرعتا
٦٠) وأكثِرْ ذكره في الأرض دأباً — لتُذكر في السماء اذا ذكرْتا
٦١) ولا تقُل الصِّبا فيـــه مجالٌ — وفكِّرْ كم صغيرٍ قد دفنتا

* * *

٦٢) وقلْ لي يانصيحُ لأنتَ أولى — بنصحك لو بعقلك قد نظرتا[٩]

(١) في د : ان حكمتا .
(٢) في د : لها .
(٣) في ت : لما شهدتا .
(٤) هذا ما في ش . وفي ت و د : وحصن .
(٥) في ش و ت : منهم .
(٦) في ت : جهلاً .
(٧) غلقتا : أي لم تُفْدَ . وهذا البيت ساقط في : ش و ت .
(٨) هو يونس النبي عليـــه السلام وما ناداه به قوله : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » كما في القرآن الكريم سورة الأنبياء آية : ٨٦
(٩) سقط هذا البيت وما بعده الى البيت ٩٤ من : ش .

٦٣) تُقطّعني(١) على التفريط لوماً — وبالتفريط دهرَك قد قطعْتا
٦٤) وفي صغري تُخوّفني المنايا — وما تجري ببالك حين شخْتا
٦٥) وكنتَ مع الصبا أهدى سبيلا — فما لك بعد شيْبك قد نكَستا
٦٦) وها أنا لم أخُضْ بحرَ الخطايا — كما قد خُضْتَه حتى غرِقْتا
٦٧) ولم أشرب حُميّا أمّ دَفْرٍ(٢) — وأنت شربتها حتى سكِرْتا(٣)
٦٨) ولم أحلُلْ بوادٍ فيه ظلم — وأنت حلَلْتَ فيه وانهمكتا(٤)
٦٩) ولم أنشأ بعصر فيه نفعٌ — وأنت نشأت فيه وما انتفعتا
٧٠) وقد صاحبتَ(٥) أعلاماً كبارا — ولم أرَكَ اقتديت بمن صحِبتا
٧١) وناداك الكتابُ فلم تُجِبْهُ — ونبّهك(٦) المشيب فما انتبهتا
٧٢) لَيَقْبُحُ بالفتى فعلُ التصابي — وأقبحُ منه شيخ قد تفتّى
٧٣) فأنت أحقُّ بالتفنيد مني — ولو سكتَ المُسيء لما نطقتا
٧٤) ونفسَك ذُمّ لا تَذمُمْ سواها — بعيبٍ فهي أجدرُ مَنْ ذمَمْتا
٧٥) فلو بكت الدّما عيناك خوفاً — لذنبك لم أقل لك قد أمِنْتا
٧٦) ومَن لك بالأمان وأنت عبدٌ — أُمرت فما ائتمرتَ ولا أطعتا
٧٧) ثقُلتَ من الذنوب ولست تخشى — بجهلك(٧) أنْ تخِفّ اذا وُزِنْتا
٧٨) وتُشفِق للمُصِرّ(٨) على المعاصي — وتَرحمُه ، ونفسَك ما رحِمْتا
٧٩) رجعت القَهقَرى وخبطتَ عشوا — لعمرُك لو وصلتَ لما رجَعْتا
٨٠) ولو وافيْتَ ربّك دون ذنبٍ — وناقشَك الحساب إذن هلَكْتا(٩)
٨١) ولم يَظلمك في عملٍ ولكن — عسيرٌ أن تقوم بما حمَلْتا
٨٢) ولو قد جئتَ يوم الفصل فرداً — وأبصرت المنازلَ فيه شتّى

(١) في ت : فتقطعني .
(٢) أم دفر : كنية الدنيا. والدفر : النتن.
(٣) في ت : شكرتا .
(٤) في د : وانهملتا .
(٥) في ت : وكم صاحبت .
(٦) في د : ونهنهك .
(٧) في د : بجلك .
(٨) في د : للضر .
(٩) فيه إشارة الى الحديث : من نُوقش الحساب عُذّب .

٨٣) لأعظمتَ الندامة فيـــه لهْفاً	على ما في حياتك قـد أضعتا
٨٤) تفرُّ من الهَجـــير وتتَّقيه	فهَلاَّ عن جهنمَ قـــد فررْتا
٨٥) ولستَ تُطيق أهونَها عذاباً	ولو كنتَ الحديد بهـا لذُبتا
٨٦) فلا تَكذبْ فانَّ الأمر جِدٌّ	وليس كما حسِبت ولا ظننْتا[1]

* * *

٨٧) أبا بكر كشفْتَ أقلَّ عيبي	وأكثرَه ومُعظمَــه[2] سترْتا
٨٩) فقُل ما شئتَ فِيَّ من المخازي	وضاعفْها فانك[3] قد صدَقْتا
٨٩) ومهـــا عِبْتني فلفرْط علمي	بباطِنتي ، كأنك قد مدَحتا
٩٠) فلا ترضَ المعائبَ فهي عــارٌ	عظيم يورث الانسان مَقْتـــا
٩١) وتهوي بالوَجيــــه من الثريّا	وتُبدلُه مكانَ الفوق تحتا
٩٢) كما الطاعاتُ تُنْعِلُك[4] الدراري	وتجعلُك القريب وان بَعُدتا
٩٣) وتنشرُ عنك في الدنيــا جميلاً	فتَلقَى[5] البِرَّ فيها حيثُ سِرتا
٩٤) وتمشي في مناكبها كريـــاً	وتجني الحمـــدَ بما قد غرستا
٩٥) وأنتَ الآن لم تُعرَف بعيْب[6]	ولادنَّست ثوبك مُـذ نشأتا
٩٦) ولا سابقْت[7] في ميدان زُور	ولا أوضعتَ فيه ولا خببتا
٩٧) فان لم تَنْأ عنـه نَشِبْتَ فيه	ومَنْ لك بالخلاص اذا نَشِبتا
٩٨) ودُنّسَ ما تطهّر منك حتى	كأنك قبـــل ذلك ماطَهُرتا
٩٩) وصِرْتَ أسير ذنبك في وَثاق	وكيف لك الفَكاكُ وقد اسرتا

* * *

١٠٠) وخفْ أبناء جنْسك واخشَ منهم	كما تخشى الضّراغمَ والسَّبَنْتَى[8]

(١) في ت : ولازمتا .
(٢) في ت : وأعظمه .
(٣) في ت : كأنك .
(٤) في ت : تلقك .
(٥) في ت : وتلقى .
(٦) في د : بعاب .
(٧) في ش : ولا سبقت .
(٨) السبنتى : النمر .

١٠١) وخالِطْهُم وزَايِلْهم حِذاراً[١] وكن كالسامريّ[٢] اذا لمستا
١٠٢) وان جهلوا عليك فقُلْ سلاماً لعلك سوف تسلم ان فعلتا[٣]
١٠٣) ومَن لك بالسلامة في زمانٍ ينال العُصم[٤] إلا إن عُصمتا
١٠٤) ولاتلبثْ بحيٍّ فيه ضَيْمٌ[٥] يميت القلب إلا إن كُبِلتا
١٠٥) وغرِّبْ فالغريبُ له نَفاقٌ[٦] وشرِّقْ إن بريقك قد شرِقْتا
١٠٦) فليس الزهد في الدنيا خمولاً لأنت بها الأميرُ اذا زهدتا
١٠٧) ولو فوق الأمير يكونُ فيها سموٌّ وافتخارٌ[٧] كنتَ أنتا
١٠٨) فان فارقتَها وخرجتَ منها الى دار السلام[٨] فقد سَلِمتا
١٠٩) وإن أكرمتَها ونظرت منها بإجلال فنفسك قد أهنْتا

* * *

١١٠) جمعتُ لك النصائح فامتثلْها حياتَك فهي أفضلُ ما امتثلتا
١١١) وطولتُ[٩] العتاب وزدتُ فيه لأنك في البطالة قد أطلتا
١١٢) فلا تأخذْ بتقصيري وسهوي وخذ بوصيتي لك إن رشدتا
١١٣) وقد أردفتُها سبْعاً حِساناً وكانت قبلَ ذا مِئةً وستا

عبد الله كنون

(١) في ت و د : خدارا . وهو تصحيف .
(٢) السامري صاحب عجل بني اسرائيل ، عاقبه موسى عليه السلام بنهي الناس عن مقاربته ومماسّته . فالمراد : أعرِب منهم ، وهذا البيت والثلاثة بعده ساقطة من : ش .
(٣) في د : ان عقلتا .
(٤) العصم : الجوارح والوعول الممتنعة برؤوس الجبال .
(٥) في ت : ظلم .
(٦) نفاق أي رواج وقبول .
(٧) في د : تكون فيها سمواً وافتخاراً . وهذا البيت ساقط من : ش .
(٨) دار السلام : الجنة . وفي ش : اذا فارقتها . وهي تنتهي عند هذا البيت .
(٩) في د : وحولت .